(٨٢) سورة الانفطار

في رحاب السورة الكريمة

سورة الانفطار من السور المكية، تسع عشر آية، وهى تعالج، كسورة التكوير الانقلاب الكونى الذى يصاحب قيام الساعة، وما يحدث فى ذلك اليوم من أحداث جسام، ثم بينت حال الأبرار وحال الفجار يوم البعث والنشور، ثم بينت بعض المشاهد، مثل انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار وما يعقب ذلك من الحساب والجزاء ثم تناولت جحود الإنسان وكفرانه لنعم ربَّه، وهو يتلقى فيوض النعمة منه جلَّ وعلا، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها ولا يعرف لربه قدره، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة ثم ذكرت السورة انقسام الناس إلى فريقين، الأبرار ومصيرهم إلى الجنة والفجار ومصيرهم إلى النار ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ ﴾. وختمت السورة الكريمة بتصوير يوم القيامة وأهواله حيث يتجرد تحرر الناس يومئذ من كل حول وقوة وتفرده سبحانه بالحكم والسلطان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾

معانى المفردات:

السماء انفطرت: انشقّت　　الكواكب انتشرت: تساقطت متفرقة

البحار فُجرت: شقت فصارت بحرا واحدا

القبور بعثرت: قلب ترابها وأخرج موتاها

ما غرك بربك: ما خدعك وجرَّأك على عصيانه

فسوّاك: جعل أعضاءك سوية سليمة

فعدلك: جعلك معتدلا متناسب الخلق

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ أى انشقت بأمر الله لنزول الملائكة ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ أى تساقطت النجوم وتناثرت، وزالت عن بروجها وأماكنها، ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ أى وإذا البحار فتحت بعضها على بعض فاختلط عذبها بمالحها وأصبحت بحرا واحدا ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ أى وإذا القبور قلبت ونبش ما فيها من الموتى، وصار ما فى باطن الأرض ظاهرا على وجهها ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ أى علمت عندئذ كل نفس ما أسلفت من خير أو شر وما قدمت من صالح أو طالح، قال الطبرى: ما قدمت من عمل صالح، وما أخرت من شىء سنَّه فعمل به بعده[1] ثم ذكر بعد ذلك أهوال الآخرة لتذكير الإنسان الغافل الجاهل بما أمامه من أهوال وشدائد فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ أى شيء خدعك بربك الحليم الكريم، حتى عصيته وتجرَّأت عليه وخالفت أمره، مع إحسانه إليك وعطفه عليك وهذا توبيخ وعتاب كأنه قال: كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ثم عدَّد سبحانه وتعالى فقال ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ أى الذى أوجدك من العدم، فجعلك سويا سالم الأعضاء، تسمع وتعقل وتبصر، فجعلك معتدل القامة منتصبا فى أحسن الهيئات والأشكال ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ أى ركَّبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور الحسنة العجيبة ولم يجعلك فى الشكل كالبهيمة.

---

(١) الطبرى ٣٠/٥٤

الإعراب:

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ	إذا ظرف زمان للمستقبل، خافض لشرطه منصوب بجوابه، السماء فاعل محذوف يدل عليه المذكور، وجملة انفطرت مفسرة وجملة انفطرت السماء فى محل جر بإضافة الظرف إليها والظرف متعلق بالجواب وهو علمت وما بعده عطف عليه، والبحار والقبور نائب فاعل لفعل محذوف وجملة علمت لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم، وعلمت نفس فعل وفاعل، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به والجملة أخرت لا محل لها لأنها صلة الموصول ما.
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ	يا حرف نداء مبنى على السكون، أيُها منادى مبنى على الضم والهاء حرف تنبيه، الإنسان نعت مرفوع، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، غرَّك فعل ماض وفاعله ضمير مستتر والكاف ضمير مخاطب فى محل نصب مفعول والجملة فى محل رفع خبر، بربك جار ومجرور متعلقان بغرَك، الكريم نعت لربك مجرور.
ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ	الذى صفة ثانية لربك، وجملة خَلقك صلة الذى لا محل لها من الإعراب، فسَّواك عطف على خلقك ومثلها فعَدَلك.
فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ	فى أى جار ومجرور متعلقان بربك، صورة مضاف إليه مجرور، ما زائدة وجملة شاء صفة لصورة والمفعول به محذوف والتقدير شاءها، والمعنى وصفك فى أى صورة اقتضتها مشيئته من حسن أو دمامة وطول وقصر وذكوره وأنوثة[1]، ركبك حال كونك حاصلا فى بعض الصور.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ص ٤٠٣ المجلد العاشر.

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝ ﴾

معانى المفردات:

تكذبون بالدين: بالجزاء والبعث — حافظين: ملائكة

يصلونها: يحترقون بنارها ويدخلون فيها — أدراك: أعلمك

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ أى ارتدعوا يا أهل مكة ولا تغتروا بحلم الله، بل أنتم تكذبون بيوم الحساب، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ أى إنَ عليكم ملائكة حفظة يضبطون أعمالكم ويراقبون تصرفاتكم، قال القرطبى: أى عليكم رقباء من الملائكة[1] ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ أى هم كرام على الله، يكتبون أقوالكم وأعمالكم﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أى يعلمون ما يصدر منكم من خير وشر ويسجلونه فى صحائف أعمالكم لتجتازوا به يوم القيامة ثم بين سبحانه وتعالى انقسام الخلق يوم القيامة إلى أبرار وفجار، وذكر مآل كل من الفريقين فقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أى إن المؤمنين الذين اتقوا ربهم فى الدنيا، لفى بهجة وسعادة لا توصف، يتمتعون فى رياض الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وهم مخلدون فى الجنة، ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ أى إنَّ الكفرة الفجار، الذين عصوا ربهم فى الدنيا لفى نار محرقة، وعذاب دائم مقيم فى دار الجحيم ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أى يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ تعظيم له وتهويل أى ما أعلمك ما هو يوم الدين؟ وأى شىء هو فى شدتة وهوله؟ ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ؟ كرر ذكره تعظيمًا لشأنه، وتهويلا لأمره كقوله تعالى ؟ كأنه يقول: إنَّ يوم الجزاء فى شدته بحيث لا يدرى أحد مقدار هوله وعظمته، فهو فوق الوصف والبيان ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ أى هو

---

(١) تفسير الإمام القرطبى.

ذلك اليوم الرهيب الذى لا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا بشىء من الأشياء، ولا أن يرفع ضرًا ﴿ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ أى والأمر فى ذلك اليوم لله وحده لا ينازعه فيه أحد.

الإعراب:

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ	كلا حرف ردع وزجر، بل حرف عطف يفيد الإضراب ويقول الراغب "بل هنا لتصحيح الثانى وإبطال الأول كأنه قيل ليس هنا ما تقضى أن يغرهم به الله تعالى شىء ولكن تكذيبهم هو الذى حملهم على ما ارتكبوه"، تكذبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، بالدين جار ومجرور متعلقان بتكذبون.
وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ	الواو حالية، إنَّ حرف توكيد ونصب، عليكم خبر مقدم فى محل رفع واللام للتوكيد، حافظين اسم إنَّ مؤخر منصوب بالياء، كراما نعت لحافظين، كاتبين نعت ثان والجملة كلها فى محل نصب حال.
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ	يعلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة نعت ثالث لحافظين، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به، تفعلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة الموصول.
إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ	إنَّ حرف توكيد ونصب، الأبرار اسمها منصوب، لفى اللام هى المزحلقة، فى حرف جر، نعيم اسم مجرور وشبه الجملة "لفى نعيم" فى محل رفع خبر إنَّ، .وإنَّ الفجار لفى جحيم معطوفة على ما فيها وبنفس الإعراب.

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ	مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى محل نصب حال، يوم ظرف متعلق بيصلونها، والدين مضاف إليه مجرور.
﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ	الواو عاطفة، ما نافية، هم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، عنها جار ومجرور متعلقان بغائبين مجرور لفظا مرفوع محلا خبر المبتدأ.
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ	الواو عاطفة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، أدراك فعل ماض وفاعله مستتر والكاف فى محل نصب مفعول به أول والجملة فى محل رفع خبر، ما اسم استفهام معناه التهويل والتعظيم فى محل رفع مبتدأ، ويوم الدين خبره فى محل رفع والجملة الثانية سدَّت مسد مفعول أدراك الثانى.
ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾	الأية معطوفة على ما قبلها وبنفس الإعراب.
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ	يوم مفعول لفعل محذوف تقديره اذكر وجعله أبو البقاء ظرفا متعلقا بمحذوف تقديره يجازون، وقرئ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو بدل من يوم الدين، وجملة لا تملك فى محل جر بالإضافة للظرف، نفس فاعل مرفوع، لنفس جار ومجرور، وشيئا مفعول به والأمر مبتدأ، يومئذ ظرف مضاف لمثله متعلق بمحذوف حال والتنوين عوض عن جملة، ولله خبر الأمر.

من ألوان البلاغة

❖ الاستعارة المكنية فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ حيث شبه الكواكب بجواهر انقطع سلكها فتناثرت متفرقة وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الانتثار.

❖ الطباق بين ﴿قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ وهو يوضح المعنى ويؤكده.

❖ المقابلة بين "الأبرار والفجار" فقد قابل الأبرار بالفجار والنعيم بالجحيم.

❖ الاستفهام فى قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ وغرضه التعظيم والتهويل.

❖ الإطناب بإعادة الجملة فى قوله تعالى ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ لتعظيم هول ذلك اليوم وبيان شدته كأنه فوق الوصف والخيال.

❖ السجع الجميل فى السورة كلها وهو من المحسنات البديعية الغير متكلفه فى نهاية الآيات.

❖ ❖ ❖

obeikandl.com